ليلة القدر ليلة الرحمة والمغفرة والكرم الإلهي

٢٦ رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ١ يوليو ٢٠١٦م

أولا: العناصر:

١. ليلة القدر منحة إلهية.
٢. خصائص وفضائل ليلة القدر.
٣. تحري ليلة القدر التماسًا لبركتها.
٤. الحث على اغتنام ليلة القدر والاجتهاد فيها بالعبادة.
٥. ضرورة التراحم بين الخلق ، فمن لا يرحم لا يرحم.

ثانيا الأدلة:

من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ* لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ}[سورة القدر].
٢. وقال تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}[الدخان: ٣ – ٥] .
٣. وقال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: ١–٣].
٤. وقال تعالى{....فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ.....}[البقرة: ١٤٨].
٥. وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[الْحَدِيدِ: ٢٢] .
٦. وقال تعالى:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[الزمر: ٥٣].

الأدلة من السنة النبوية :

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (رواه البخاري).

٢. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ) (رواه ابن ماجه).

٣. وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: (إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ) (رواه البخاري).

٤. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنِّي كُنْتُ أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، ثُمَّ نُسِّيتُهَا، وَهِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ لَيْلَتِهَا ، وَهِيَ لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ بَلْجَةٌ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ)، وَزَادَ الزِّيَادِيُّ: (كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا يَفْضَحُ كَوَاكِبَهَا)(رواه ابن خزيمة).

٥. وعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: (تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (رواه ابن ماجه).

٦. وعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) (رواه البخاري) .

٧. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى) (رواه البخاري).

ثالثا: الموضوع:

لقد خصّ الله عز وجل الأمة المحمديةَ بخصائصَ عظيمةٍ وجليلةٍ ، وإنّ المتأمل في هذه الخصائص يجد العَجَبَ العُجَابَ ؛ لما حباه اللهُ لهذه الأمة عن غيرِها ، فرسولها أفضل الرُّسلِ بل أفضل الخلق على الإطلاق ، وهي أفضل الأُممِ ، قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}[آل عمران:١١٠] ، وشريعتها تتميز بالسماحة واليسر والرحمة ، وعملها وإن كان قليلاً إلا أن ثوابه وأجره أعظم من ثواب وأجر غيرها من الأمم ، وأعمارها وإن كانت قصيرة إلا أن فيها خيرًا كثيرًا ، فعوضها ربنا بليال وأزمنة وأمكنة ومناسبات تتضاعف فيها الأجور ، فهي أمةٌ مخصوصةٌ ومصطفاة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن الفضل الإلهي والعطاء الرباني الذي اختص الله (عز وجل) به الأمة المحمدية عن سائر الأمم أن تفضل عليها بليلة واحدة في العام ، وضعت عبادتها في كفة ، وعبادة ألف شهر ، أي ما يساوي ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر من عمر الإنسان في كفة أخرى ، فرجحت كفة عبادة ليلة القدر ، من قامها مبتغيًا بقيامه وجه الله محتسبًا الأجر والثواب من الله وحده غفر الله ذنبه وستر عيبه وأعلى قدره وفتح له أبواب رحمته ورضوانه ، إنها ليلة القدر التي يتجلى فيها أعلى مظاهر الفيض والكرم الإلهي، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ* لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ}[سورة القدر] ، والقدر هو الشرف والعز والكرامة ، يقال: فلان ذو قدر أي: ذو شرف ومكانة ، وهي كذلك ليلة القدر لما لها من الشرف والمكانة بين بقية الليالي ، فقد أنزل الله فيها كتابًا ذا قدر على نبي ذي قدر بواسطة ملك ذي قدر ليكون منهجا لأمة ذات قدر .

وليلة القدر من التقدير ، يقدِّر الله فيها أعمال العباد في السنة من الليلة إلى مثلها من العام القادم من حياة وموت ،ورزق، وسعادة، وشقاء، وغير ذلك ، قال تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}[الدخان:٣- ٥].

وقد خص الله (عز وجل) هذه الليلة المباركة بمزيد فضله وعظيم كرمه بعدة خصائص منها:

نزول القرآن الكريم فيها: قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١] ، وكانت بداية هذا النزول في هذه الليلة المباركة ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): أُنْزِل الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نُجُومًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً) (معالم التنزيل للبغوي) ، وأول ما نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان في رمضان حيث التقت الأرض بالسماء وتلقت الأرض أنوار السماء وبركاتها في هذه الليلة المباركة ليلة القدر ، فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، قَالَ: (فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ،

فَقُلْتُ: (مَا أَنَا بِقَارِئٍ)، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: ١-٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ....) (رواه البخاري).

ومنها: **وصفها أنها ليلة مباركة**: قال تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}[الدخان: ٣] ومن مظاهر بركتها أن الله عز وجل يغفر لمن قامها إيمانا واحتسابًا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)(رواه البخاري). ومن حرم بركتها فهو المحروم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ(رضي الله عنه) قَالَ دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ)(رواه ابن ماجه).

ومنها: أن عبادتها أفضل من عبادة ألف شهر ، فعن مُجَاهِدٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَلْفَ شَهْرٍ قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، فعبادة ليلة بإخلاص تفوق على حمل السلاح ألف شهر . والعدد هنا لا يقصد منه التحديد بل المقصود منه الكثرة حتى يجتهد الناس في طلب هذه الليلة.

ومنها: **نزول الملائكة ومعهم جبريل (عليه السلام)**: فيملؤون الأرض نورًا وجمالاً وسكينة في هذه الليلة المباركة ، قال تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}أَي: تتنزل فيها الملائكة من كل سماءٍ إلى الأَرض ، أَو إلى السماء الدنيا ، مع البركة والرحمة. وينزل معها الروح وهو جبريل (عليه السلام) كما قال الجمهور ، وخص بالذكر لزيادة شرفه ، وعلو قدره فضلاً على أَنه النازل بالذكر (التفسير الوسيط للقرآن الكريم).

ومنها: **أنها ليلة أمن وأمان ، وسلامة وسلام من بدايتها حتى مطلع الفجر**، قال تعالى: {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} وجاءت لفظة (سَلَامٌ) منكرة لتفيد العموم ، وقدمها على اسمها (هِيَ) لتفيد الاختصاص أَيْ: مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ ، وفي ذلك دعوة لنشر السلام في الأرض في هذه الليلة المباركة

وغيرها من الليالي ، فنشر السلام يعم الخير ، والبعد عنه يجلب كل شر ويمحق البركات ، وبسبب البعد عن السلام والإقبال على النزاع والخلاف حُرِم المسلمون بركة تحديدها ، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: (إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ ، فَرُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ) (رواه البخاري). ومعنى تلاحى: أي: تخاصما، فبسبب هذه الخصومة والخلاف حُرمت الأمة الخير الكثير، ولكن لعل في إخفائها الخير كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ) ، وذلك حتى يداوم العبد على الاجتهاد طوال العشر دون الاقتصار على ليلة واحدة فقط .

ليلة بهذا الفضل وبهذه الكرامة حري بكل مسلم أن يلتمسها ، فهي كالجوهرة الثمينة التي يسعى في طلبها من يريد الخير لنفسه ، وهذا ما أكده النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومع هذا تحراها بحثًا عن بركتها ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ ، قَالَ: فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ ، فَدَنَوْا مِنْهُ ، فَقَالَ: (إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ)، فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: (وَإِنِّي أُرِيتُهَا لَيْلَةَ وِتْرٍ ، وَإِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ) فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ ، وَقَدْ قَامَ إِلَى الصُّبْحِ، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ، فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ، فَخَرَجَ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَجَبِينُهُ وَرَوْثَةُ أَنْفِهِ فِيهِمَا الطِّينُ وَالْمَاءُ، وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ) (رواه مسلم).

بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر الأمة أن تتحرى هذه الليلة لما فيها من العطاء والكرم الالهي ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ) (رواه البخاري)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى) (رواه البخاري).

فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بتحري هذه الليلة في العشر الأواخر ثم خص من العشر الليالي الوتر منها ، ولم يحددها بليلة محددة ، ليجتهد العباد في طلبها ، ويجدّوا في العبادة ، وحتى يظل الأمل موجودا عند العباد في فضل الله وكرمه وعفوه ومنته.

ولقد فطن الصحابة (رضوان الله عليهم) لعظم مكانة هذه الليلة فتسابقوا بالخيرات طمعًا في ثوابها ، وتوجهوا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالسؤال عن الدعاء المستحب في هذه الليلة ، فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: (تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (رواه ابن ماجه) ، فهي ليلة يغفر الحق سبحانه فيها الذنوب.

فليتسابق المسلمون إلى الرحمة والعفو في هذه الليلة المباركة ، ويتخذوا منها عهدا جديدا لتجديد التوبة ولزوم الاستغفار والعمل الجاد المثمر ، وإعادة بناء النفس وتقويمها من جديد على الطاعة والإخلاص وحسن الصلة بالله عز وجل ، قال تعالى{..فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ..} [البقرة: ١٤٨] ، وقال جل شأنه: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[الْحَدِيدِ:٢٢] ، ولنتاجر مع الله عز وجل بكل عمل صالح كصلة الأرحام والمحافظة على أعراض الناس وأموالهم ودمائهم ، والحرص على تحقيق السلام والأمان بما يعود بالنفع على الفرد والوطن .

ومن كان قد أسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب فليتب إلى البر التواب جل جلاله ، وليعلم أن الله عز وجل بابه مفتوح ، ينادي على عباده المؤمنين بقوله : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣] ، فالمؤمن الفطن يعلم أن أنفاسه معدودة وساعات إقامته في الدنيا محدودة ، ويعلم علم اليقين أن الحياة فرص من اغتنمها فاز وسعد ، ومن ضيعها خاب وخسر ، ولا توجد فرصة في العمر كفرصة ليلة القدر فلنغتنمها حتى ننال بركتها.

وإذا كنا نتعرض لرحمة الله تعالى بحق فعلينا أن نتراحم فيما بيننا ، فمن لا يرحم لا يرحم ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وليس التراحم بمجرد كلمة أو سلام ، إنما التراحم سلوك ، إذ إن التراحم يستوجب التعاون والتكافل ، وأن يأخذ قوينا بيد ضعيفنا ، وغنينا بيد فقيرنا ، وها نحن مقبلون على عيد مبارك ينبغي أن نوسع فيه على الفقراء ، وأن نغنيهم عن السؤال في هذا اليوم ، وأن نخرج صدقة الفطر إلى مستحقيها ، ومن كان ذا سعة زاد في الصدقة والبر والصلة ، موقنًا بأن ما

أنفق من خير فإن الله (عز وجل) سيخلفه ويضاعفه ، حيث يقول الحق سبحانه : {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[البقرة :٢٦١] .